سلسلة (صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيهِ)(14)



هل من مُشمّر من بعد سعد ؟

(فنحن بذكر سِيَرهم نحفظ الرّسالة التي ضحّوا من أجلها ونعرضها على الأمّة في كل لحظة ننعي فيها شهيدا حتى ننتدب بطلا آخر لحملها فهل من مُشمّر من بعد الشهيد يا شباب الإسلام؟)



كتبها

الرّاجي عفو ربّه أخو الشّهيد



منشورات صفر 1440هـ

هل من مُشمّر من بعد سعد ؟

رحمه الله تعالى



كتبها
الرّاجي عفو ربّه أخو الشّهيد

منشورات صفر 1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى أله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

قالوا لي أكتب عن الشهيد، فقلت وكتبت:

يكون جرّ الجبال أحيانا أهون على المرء من جرّ القلم على الورق، خاصة إذ كان فحوى المكتوب ينبع من عمق الأشجان، وتكون الأمانة المكتوب عنها هي بحجم أمانة رسالة الإسلام، ويكون المداد الذي تخطّ به الكلمات يتدفق من بين أوداج نحور الرجال..

يا لها من ملحمة عظيمة تسطر على وجه البسيطة، رحابها الفسيح هو ساحات الوغى ومدادها دماء الشهداء، وكُتّابُها هم السالكون على درب التضحية والجهاد، وخَتْمُهَا ووِسَامُهَا شهادة "لا إله إلا الله ".

على أي شيء سنتكلم..؟، عن أمانة الإسلام التى أبت الجبال أن تحملها أم عن درب الجهاد الذي تسامت مراميه فعزّت مراقيه أم عن "لا إله إلا الله" التى من أجلها جعلت الدنيا وشرع الدين..

أمانة تنوء بحملها الجبال..

يتحمل المجاهدون في سبيل الله في هذا الزمان همّ صون الرسالة، وما يترتب عنه من مجاهدة أعداء الدين ومصاولتهم، وما يترتب عنه كذلك من محن وبلايا وغربة ومفارقة للأهل والأحباب والعيش على الكفاف والزهد في رغد العيش، وهم مع كل هذه التبعات يتحملون شيئا عظيما آخر، هو مسؤولية تبليغ هذه الرسالة، فيدٌ على الزّناد تصاول وتناور، ويدٌ بالقلم تنافح وتناصر، فهم لا يدخرون جهدا في دعوة الناس إلى الله وإلى الجهاد في سبيل إعزاز دينه.

من أعظم أبواب الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، ذكر مآثر الشهداء ومناقبهم وسيرهم لأن ذكر قصص جهاد هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله لهو ذكر لأهم مقامات العبودية التى تتجلى فيها حقائق عظام كحقيقة التوحيد التى من أجلها عَادَوا الباطل ورضوا بأن يبذلوا أرواحهم من أجل أن يُعبد الله وحده و"أن يكون الدين كله لله"، وهذا المقام الرفيع الذي حازه المجاهدون دون غيرهم لهو من فضل الله عليهم في هذه الحياة الدنيا فلهذا كان ذكر مآثر الشهداء هو تحريض

على التسابق لنيل منزلتهم الرفيعة وحمل الراية التي اجتهدوا في حملها وصونها حتى تصل إلينا، فنحن بذكر سيرهم نحفظ الرسالة التى ضحوا من أجلها ونعرضها على الأمة في كل لحظة ننعي فيها شهيدا حتى ننتدب بطلا آخر لحملها، فهل من مشمّر من بعد الشهيد يا شباب الإسلام..

وقفتنا اليوم، هي من رحاب أرض الجهاد والإستشهاد جزائر العزّ والإباء، ومن على ذرى قمم جبال الأوراس الأشم، معقل الثبات والصمود نحيي معا وقفة مع أحد رجال وأبطال الإسلام الذين تحتضن شماريخ العزّ أجسادهم الطاهرة لتُعرّفهم لمن خلفهم من شباب الأمة لعلهم يقتدوا بهم ويحذوا حذوهم، وسيكون كلامنا عن شخصية خفية كانت تعمل في الخفاء وفي الصمت كما هو حال معظم مجاهدي الجزائر، الذين لم تسلّط عليهم الأضواء لعمق المحنة والبلاء الذي كانوا يصارعونه في معزل عن العالم، وهي شخصية نموذجية عن ذلك المجاهد الصابر المحتسب المتخلق الشجاع، والأمير الرحيم مع إخوانه، والهزبر الهائج على أعداء الدين -نحسبه والله حسيبه- أنه تخلق بهذه الأخلاق والصفات فالرجال بصنيعها تذكر والآثار بعمقها تقتفى.

صاحبنا، هو المجاهد الشهيد -كما نحسبه- سعد أبواليمان من مجاهدي مغرب الإسلام وهو أحد المخضرمين، الذين عاشوا تحت راية "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" في مراحلها الأخيرة قبل أن تبايع وتتحول إلى "تنظيم قاعدة الجهاد ببلاد المغرب الإسلامي" ،أعزّها الله وأبقاها شوكة في حلوق الخونة والمرتدين، آمين..

من هو سعد أبواليمان؟.

سعد أبواليمان هي كنية الشاب الجزائري اليافع، واسمه الحقيقي "يزيد بتيرة" من مواليد شهر أكتوبر عام ١٩٨٠ ولاية باتنة.

لم يكن سعد يختلف عن غيره من شباب الجزائر المسلمة، الذين عاشوا طفولتهم في مجتمع إنصبغت معالمه بالعادات والثوابت الإسلامية كالرجولة والحشمة والغيرة على العرض واحترام الصغار للكبار ورحمة الصغير، إذ كانت حياته في الصغر مملوءة بالحيوية والنشاط، فكان مع دراسته يمارس الرياضات القتالية، فتفوق فيها تفوقا كبيرا مما أكسبه ومن صغره الشجاعة والثقة في النفس، وكان له أن تتدرج في التعليم النظامي حتى مرحلة الثانوية، وكان من طلبة "ثانوية البشير الإبراهيمي التقنية"، بعد انفصاله عنها في عام ١٩٩٨، واصل حياته يتقلب بين فترات طويلة من البطالة والفراغ فلم تظهر عليه ملامح الإلتزام في تلك المرحلة، والواقع الذي كانت تمر به البلاد ينبئك بحال الشباب فيه، إذ كانت الجزائر في هذه المرحلة تمر بفترة عصيبة سببها سياسة النظام المجرم الذي كان ينتهج سياسة الأرض المحروقة تجاه الشعب والتضييق عليهم وقمعهم حتى يتسنى له ضبط الأحوال تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، وما كانت هذه السياسة من النظام إلا سياسة للإرهاب وتكميمِ الأفواه من أجل الإستئثار بثروات الأمة دون رقيب ولا حسيب، كما كانت هذه

السياسة تهدف إلى تخريب الأرض ونهب خيراتها كانت هناك سياسة موازية تضرب في أصل الثوابت الدينية لهذا الشعب لتهجينه وترويضه، وذلك بمحاربة مظاهر التدين والالتزام بالدين وتفريغ المساجد من محتواها ورسالتها التربوية بقمع الأئمة الصالحين، وإفراغ المناهج التربوية من كل ما له صلة بالدين الإسلامي، وبث وتشجيع في مقابلها الأفكار الهدامة والفاسدة في عقول الناشئة، وهذا الإجرام كله من أجل إرضاء أسيادهم من الشرق والغرب وعلى رأسهم فرنسا -أم الخبائث- التى لم يهنأ لها بال حتى خربت البلاد والعباد وجعلتهم مستودعا بشريا لا قيمة له إلا الجري وراء الفتات.

هذه المرحلة التى مرت بها الجزائر وماسبقها من أعوام طويلة من حرب على الهوية والدين هي من أشعل جذوة الجهاد في نفوس شباب ورجال الجزائر الغيورين على دينهم وأمتهم، هذا البلد المسلم الذي ضحى من أجله أسلافنا الفاتحون لكي تشاع أنوار الهداية على هذه الأرض التى كانت غارقة في الوثنية، والذي ضحّى من أجله كذلك أباؤنا وجاهدوا الإستعمار الغربي الخبيث لتبقى الجزائر مسلمة تحت ظل راية التوحيد..

الجهاد على أرض الجزائر الطيبة، بدأ من أجل تحكيم شرع الله ولا يزال إلى اليوم يسير نحو هذه الغاية النبيلة العظيمة الجليلة، تقوم به ثلة صابرة لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، فهي بإذن الله مقبلة لا تلتفت ولا تتوانى حتى يفتح الله عليها أو تلقى ربها وهي عاذرة ومعذورة بما فرط به غيرها..

كان سعد رحمه الله من جملة هذا الجيل الذي سُلطت عليه هذا السياسات الهدّامة ولكن الله يأبى أن تَطمِسَ مكائد أعداء الله أنوار الهداية والفطرة التي غُرست في أبناء هذا الشعب المسلم المجاهد الذي لم يرضخ يوما للطغاة، ولئن إستكان وقتا فثورته توشك أن تندلع لتنسف أركان الخبث والإجرام.

عاش سعد رحمه الله هذه المرحلة وهو شاب كغيره من الشباب على مضض، يتجرع مرارة القهر والتهميش والاحتقار مما جعل الكره تجاه النظام يترسخ في نفسه حتى قبل أن يعيّ الحقيقة الشرعية لهؤلاء المجرمين وهو السبب الذي حذا به إلى تبنى فكرة الجهاد بعد أن منّ الله عليه بالهداية والإلتزام..

سعد في رحاب الهداية و الإلتزام:

كانت بوادر الإلتزام تظهر على سعد رحمه الله، وسببها هي منّة المولى عز وجل عليه بعدما أن سَخَّرَ له الصحبة الصالحة التى كانت سببا في توجهه في بادئ الأمر إلى الصلاة ثم الالتزام بها في المساجد، وكان مسكنه في "حي كشيدة" سببا في إرتياده على أشهر مسجدين في ذلك الحي، وهو

مسجد "العتيق" ومسجد "خالد بن الوليد رضي الله عنه"، يجدر في هذه المناسبة، ونحن نتكلم عن الصحبة الصالحة أن نذكر رفيقا درب شهيدنا سعد رحمه الله، هما الأخوان المجاهدان الشهيدان -نحسبهما والله حسيبهما- الأخ "سمير دحماني" المكنى في الجهاد ب"أبي ذر"، والأخر "عبد الحميد عجينة"، كنيته "أويس"، فهما رفيقا درب سعد في رحلة الإلتزام ثم الهجرة إلى الجهاد، وقد نال الجميع شرف ووسام الشهادة في سبيل الله، نسأل الله أن يتقبل من الجميع، وأن يجعلهم من الذين يتقلبون في الجنة حيث شاؤوا.

كان الشهداء الثلاثة من "حي كشيدة"، هذا الحي الذي عرف صحوة جهادية كبيرة منذ بداية التسعينيات كما هو الحال مع الكثير من أحياء مدينة باتنة كحي "بوعقال" وحي "بوزران" وحي "جبانة الشهداء"، ولا غرابة أن تتصدر ولاية باتنة العدد الأكبر في ولايات الشرق من حيث نسبة النافرين للجهاد، فهي ولاية الجهاد منذ حقبة الإستخراب الفرنسي، فقد مُرِّغَ أنف فرنسا على مشارف تلك الولاية وفوق جبالها، كجبل "شلعلع" وجبل "تاغدة" وجبال "حمر خدوا" المُطلّة على الصحراء، وهو ما يفسر رسوخ النخوة في أبناء هذه المنطقة المجاهدة المِعطاء..

فحيٌّ على الجهاد يا شباب الأوراس لتُذيقوا الخونة المرتدين ما ذاقته أُمُّهم وراعيتهم فرنسا من قبلهم..

فخضّ غمرات الموت واسمى إلى العلا ••• لكي تدرك العزّ الرفيع الدائم.

فلا خير في نفس تخاف الردى ••• ولا همّة تصبوا إلى لوم لائم.

سعد أبو اليمان في ميدان البطولة و الجهاد:

فضل الجهاد في سبيل الله:

قال المولى عز وجل في كتابه الكريم:

(لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم فَضَلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاّ وعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)، سورة النساء.

عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟، قال (لا تستطيعونه) فأعادوا عليه ذلك مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه)، ثم قال: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل

الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام و لا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله)، متفق عليه.

مما يزّهد المؤمن في الحياة الدنيا ويُبعده عن الركون إلى ملذاتها هو سماعه لفضل عبادة الجهاد وفضل القائمين بها عن غيرهم من المسلمين، وخاصة إذا ترسخ في نفسه حقيقة زوال الدنيا وملذاتها، فتجده بفطرته يؤثر ماهو باق عما هو زائل، وهذا الإنطباع الإيماني الرفيع يزداد رسوخا عندما يعلم المؤمن أنه مكلف من المولى عز وجل بالقيام بهذه الفريضة المُتَعينة، فتجد المؤمن الصادق والخاضع المنقاد يهرع إلى أدائها خوفا من مخالفة أوامر الله وطمعا كذلك في ثوابه الذي وعد به عباده المجاهدين.

كان سعد رحمه الله دائم الحرص على تتبع أخبار الجهاد والمجاهدين وكثيرا ما كانت مجالسه مع رفقاء الدرب تدور على أحكام فريضة الجهاد وأخبار القائمين بها في مختلف الساحات، وزد على ذلك حرصه على فقه مسائل الجهاد وما يتعلق بأسباب إقامته، وهو ما رسخ في ذهنه وجوب قتال حكام الردة الجاثمين على صدور الناس، الذي عاثوا في الأرض فسادا وحاربوا الدين بكل طريقة ووسيلة، فكانت قناعته بالجهاد والإلتحاق بدرب الجهاد هي على قناعة شرعية واضحة، وعلى بصيرة نابعة عن وعي وتفكر.

هذه القناعة التى اقتنع بها سعد ورفاقه لم تكن لتبقى طي صدورهم بل آثروا الجهر بها ودعوة الناس إليها، فكانت لهم مواقف جريئة في هذا الباب لعلمهم أن جوهر الرسالة هو كتاب يهدي وسيف ينصر، ولعل مواقفهم هذه وجهرهم بالدعوة هو من سرّع لحوقهم بساحة الجهاد لأن الطاغوت المجرم قد تفطن لنشاطهم فآثروا اللحوق بدرب الجهاد والرجولة على أن يكونوا لقمة سائغة لزبانية النظام، تلك الكلاب المسعورة التي لا تتوانى على اعتقال كل مصلح يدعو ويعمل للخير.

في ربيع عام ٢٠٠٦، قررت المجموعة النفير وكنت رابعهم فأعددنا العدة وتوكلنا على الله، فكان أن توجهت أنا والأخ أبوذر تجاه الإخوة المجاهدين في باتنة، وكان لحوق سعد والأخ أويس بجبال ولاية تبسة، وكان هذا الإفتراق هو السبب في عدم ملاقاتهم مع الأخ أبي ذر ثانية لأنه قتل -رحمه الله - بعد تسعة أشهر من لحوقه بالجهاد، وكان إجتماعنا فيما بعد، بعد قرابة عام حين تنقل سعد ورفيقه أويس إلى منطقة باتنة، أين قضيا معظم سنوات جهادهما.

بعد التحاق سعد إلى الجبال أين معسكرات المجاهدين، انضم لأحد معسكرات التدريب التى كانت تحت اشراف الأخ المجاهد الشهيد "منير التونسي"، وهو أحد طلائع الجهاد المبارك -إذ كانت لهذا البطل صولات وجولات على أرض "البوسنة" أيام العدوان الصربي على المسلمين هناك، وكذلك على ذرى "أفغانستان" -فبعد دورة تدريبية صارمة اشتملت على الكثير من الفنون والعلوم العسكرية تخرج سعد رحمه الله هو ومجموعة من الأبطال الذين التحقوا بذلك المعسكر التدريبي،

وكانت مجموعتهم تلك من أكبر المجموعات حجما وتنوعا، إذ كانت تتكون من إخوة قدموا من مختلف أنحاء الجزائر انطلاقا من الغرب حيث وهران وتيارت فإلى الوسط كالعاصمة ومدن أخرى كالبرج والمسيلة وسكيكدة، وهذا التنوع ينبئ بوجود قابلية مشتركة لدى جميع شباب هذا البلد بضرورة الجهاد ضد هذا المرض العضال الذي تسلط على دين ودنيا الناس..

ويحسن الذكر كذلك، أن ساحات القتال داخل الجزائر لم تخل من مجاهدين أجانب قدموا من مختلف البلدان، وخاصة المحيطة بالجزائر، من بينهم تونسيون وليبيون ومغاربة وصحراويون ونيجيريون وموريتانيون، وهذا -ولله الحمد- يدل على عالمية الجهاد المبارك وأن قناعة المسلمين تتشابه من جهة علمهم بعمالة الأنظمة العربية، وهو ما حذا بهم لخوض الجهاد في أي بقعة سنحت لهم فيها الفرصة..

بعد هذه الدورة التدريبية، كانت بواكير العمل المسلحة بالنسبة لشهيدنا سعد رحمه الله هو خوضه لأول عملية، وهي الهجوم على أحد النقاط العسكرية في منطقة الجبل الأبيض.

بعد هذه العملية مباشرة تجهّز سعد للتوجه نحو منطقة باتنة رفقة مجموعة من الإخوة، وقد كانت هذه الرحلة من أول الدروس التطبيقية في قضية الصبر وقوة التحمل، إذ كانت هذه الرحلة الممتدة من منطقة تبسة في أقصى الشرق إلى ولاية باتنة مشيا على الأقدام، وعبر مناطق جبلية وعرة هي في حد ذاتها جهاد عظيم، وعليك أن تتخيل المجاهد وهو يحمل سلاحه وجعبته وحقيبة لا يقل وزنها عن خمسة عشر كم، والمشي في غالب الأوقات يكون في الليل ولمسافات خيالية قد تستغرق المساء والليل كله إلى طلوع الشمس، ولهذا كثيرا ما تسمع هذه الكلمة من المجاهدين وهم يغوضون مثل هذه الرحلات "إنها الموت"..

كانت رحلة سعد هذه هي إحدى الرحلات الكثيرة التي لا تنقطع في درب الجهاد، فالتنقل دائما على الأقدام، ومعظمه كذلك في الليل لتفادي عيون الرصد والحواجز المنصوبة على الطرقات وبعد دخول سعد إلى "جبل تاغدة" وهو أحد أكبر وأوعر الجبال على الإطلاق في الجزائر كلها وكان أن صادف هذا الدخول الإخوة وهم يجهزون لعملية عسكرية، هي الهجوم على مقر الحرس البلدي في بلدية "بانيان" جنوب ولاية باتنة فحاز شرف المشاركة في هذه العملية، التي كانت ملحمة بحق، والتي أرجعت ليل تلك المنطقة نهارا من شدة النيران التي سلطها المجاهدون على تلك النقطة، وبعد هذه العملية مباشرة توجه سعد رحمه الله إلى جبل "وستيلي" وهو أحد الجبال المُطلة على مدينة باتنة مباشرة، وهو المكان الذي قضى فيه معظم سنوات جهاده متنقلا بين مختلف جبال تلك المنطقة، ومن أهمها جبل "الشلعلع"، وجبل "أولاد شليح"، وجبل "معافة"، وجبل "أولاد عوف"، وقد أكسبته تلك التنقلات معرفة في الأرض فأصبح دليلا جيدا في مختلف مسالكها وهو ما أهله ليكون أحد أهم المشرفين على عملية رصد تحركات العدو، وأحد أهم البارزين في عمليات التخطيط للكثير من الهجومات، ولعل من أبرز هذه العمليات هو الهجوم على الثكنة

العسكرية في بلدية "شعبة أولاد شليح"، وهي أخر العمليات التى شارك فيها رحمه الله، ومن المجالات التي برز فيها كذلك في المجال العسكري هي عملية زرع الألغام التى كانت تحتاج إلى تركيز كبير و ذاكرة جيدة لضبط أماكن الحقول والمسالك الملغمة..

سعد ومدرسة الرباط والصبر:

قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: (ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)، متفق عليه.

وددت أن استغل الفرصة في هذا المقام ونحن نستلهم الدروس من سيرة أحد النماذج والرجال الذي مرّوا على درب الجهاد المبارك، أن أضع صورة أمام القارئ عن حقيقة الرباط الذي يعيشه المجاهدون في الجزائر كصورة عما عاشه شهيدنا، وهو يعد جزءا أو حلقة من عبق ما عاشته أمة من المجاهدين طوال عقدين أو أزيد من الرباط، نستلهم منها الدروس والعبر وهي رسالة للمتخلفين عن درب الجهاد، الذين لم يحوزوا شرف الرباط والجهاد لعلها تكون جذوة تتعلق بقلوبهم فتلهب مشاعرهم وإرادتهم وهم يطلعون عن خبايا ما عاشه إخوانهم، الذين يضحون من أجل أن يعيشوا هم ومن خلفهم تحت راية التوحيد، وهي رسائل أيضا ودروس لمن وفقه الله للحوق بدرب الجهاد عسى أن يتمثلها نصب عينيه وهو في خضم جهاده ورباطه على ثغور الإسلام..

فنقول:

على أرض الجهاد وما أدراك ما الجهاد..

في الوقت، الذي يحقق فيه المجاهدون بعض الإنتصارات والمكاسب على الأرض، وجب رفع الستار عن حقائق تعيشها هذه الطائفة المجاهدة في بعض مراحل عملها، وهي تعمل لنصرة هذا الدين، حتى تكون هذه الحقائق وقفات تأمل يقف عندها المجاهد ليزن مساره على حدّيها اللذين لا تنفك عنهما أي تجربة جهادية، وهما حدّ الإنتصارات والذي يشتمل على كثير من الغثاء، وحدّ الضعف والبلاء والذي يتجرد فيه الجهاد من جميع ما هو عالق به تعلق المستغل المتملق..

سأذكر إحدى أهم التجارب وما تخللها من محن كنموذج لتجربة فريدة في الجهاد المعاصر، حتى نضع فصولها نصب أعين العاملين لئلا تحيد همّمهم عن الجادة فيستثقلوا الضريبة أو يستعجلوا الثمرة أو يستطيلوا المسار..

في عمق الجهاد المعاصر، تعيش طائفة من المجاهدين قلّ مثيلهم، من حيث حجم المحنة التى يعيشونها، هم طائفة تعيش في عمق المحنة بكل أبعادها ومعانيها، عزاؤهم الوحيد أنهم في سبيل الله ، والله وعدهم بالثواب، هذه هي معادلتهم، هذا ما علمته عنهم -نحسبهم كذلك والله حسيبهم-..

المجاهدون اليوم، على أرض الجزائر يعيشون محنة الأعماق بكل حقائقها وأبعادها، يعيشونها بصمت وهدوء، ومن أراد أن يتعرف على محنة الأعماق فليسمع عن حياة ملؤها المحن والبلاء

والتضحيات الجسام، حياة التجرد التام، حياة طائفة مجاهدة على قمم جبال شامخات، وكأن هذه الجبال خلقت لتكون على موعد مع هؤلاء، فلتنظر -يا من أبتليت على أرض الجهاد- هل بلغ شأنك شأن هؤلاء أم أنك في نعمة ومنّة يجب أن تشكرها..

من أين نبدأ وإلى أين ننتهي..!؟

هل تعلم، أن هناك من هو اليوم على أرض الجزائر يعيش في جبالها أكثر من عقدين من الزمن لم تطأ قدماه رصيف المدن وليس عتبة بيته فقط..!!

ولك أن تتعجب.. -يا من حرمت نفسك رباط يوم في سبيل الله-..

هل تعلم، أن هناك على قمم الجبال يعيش مجاهدون لم يروا أباءهم وأبناءهم أكثر من عقدين كاملين ، ولعل بعضهم يرى بيته من سفح الجبل ولكن زيارته تعنى هدمه على رؤوس من فيه..!!

مواجهة مع أعتى الجبابرة..

هل تعلم، أن الجوع أصبح كالظّل لا يفارق صاحبه لفترات قد تصل إلى سنوات بسبب الحصار، وتخاذل من أراد أن يشبع ولو على حساب دينه..!!

قتل العشرات وأكياس الملح على ظهورهم..

اسمع -يرعاك الله- يا من حرمت نفسك من تجهيز المجاهد وامداده ولو بكيس ملح..!!

هل تعلم، أن الكثير من المجاهدين عاشوا في الجبال مع عائلاتهم عيشة الكفاف، ولم يسلم من هذا البلاء أطفالهم أفلاذ أكبادهم البريئة، التى حرمت قطعة الخبز وليس الحلوى فقط.. أطفال بريئة معظمهم يحمل كتاب الله في صدره..!!

وهل تتخيل، أن يعيش في جبال وعرة وشامخة ولمدة أكثر من عقد من فقد رجليه الإثنتين أو يديه وهو يصارع ويكابد الثلوج أحيانا والعطش أحيانا مع ما تفرضه العمليات العسكرية المتواصلة..

وهل تعلم، أن أعظم من هذا كله، أنه وجد من عاش أكثر من عشرة أعوام وهو كفيف في معسكرات المجاهدين، وهو ثابت محتسب حقيبته على ظهره ويده على عاتق دليله يمشي حيث مشى لا يبالي أين تقع قدمه.. لا إله إلا الله.. أين أهل العافية..؟

هل تعلم، أن الكثير من الذين أصيبوا بإصابات غير قاتلة لكنهم قتلوا لأنهم -بكل بساطة- لم تتوفر لهم حقنة واحدة لوقف النزيف أو لمنع تعفن جراحهم..

أين أنتم يا إطارات الأمة لكي تعالجوا جروح إخوانكم..؟

هل تعلم، أن المجاهدين اضطروا للتعسكر في مناطق جبلية موبوءة بمخلفات القصف الفرنسي القديم بالمواد المحظورة مما خلّف آثارا وأمراضا لا يعرف لها أصل ولا فصل..!!

هذا كله، وزد عليه ظروف الحرب من قصف وغارات وتمشيطات وكمائن ومعارك يجابهها المجاهدون بعدّة وعتاد ضعيفين، لا توازن يذكر بين المعسكرين.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. اعتبر يا من تركب الدبابة..

هذا غيض من فيض، والوصف لا ينتهي، وما خفي أعظم، والمحنة أعمق من هذه العبارات، وليس الخبر كالمعاينة، وليس الكلام عن أسبوع أو شهر أو عام من الصمود، بل الزمان دار حتى عقد عقدين وزاد، وليس الكلام عن عشرات أو مئات من المجاهدين، بل الحديث عن الألاف الذين قضّوا نحبهم وهم لا يملكون من حطام الدنيا إلا ما يستر عورتهم لا حول ولا قوة إلا بـالله.

هذه هي أرض المحن والزلازل، وهذه هي المحنة، التى اكتشفت أنها قادرة على نزع خطأ المثالية والتملق نزعا فلا يبقى إلا ما تصلّب وتجذّر، فكانت تلك النماذج التى عاشت هذه المحنة هي أنْفَس المعادن وأصلبها، وكانت تلك الدروس هي أقيمها وأنفعا، وما دون ذلك فهو ركام وحطام لا يلبث أن يتلاشى فلا ترى له من أثر..

اسأل الصبر من أنت ••• يجبك أنا تلك الهمم على قمم الجبال

اسأل الصبر عن حدّه ••• يجبك ما جادت به صدور الرجال

اسأل الصبر عن طوله ••• يجبك عقدين وأكثر من النزال

اسأل الصبر عن عمقه ••• يجبك عمقي جزائر الأبطال

إلى جميع أبناء الأمة وإلى جميع شباب الجهاد المبارك، الذين هم اليوم على أرض الرباط أقول:

لا تجزعوا وتفرقوا من قلة السالكين وكثرة الهالكين وعليكم بالتمثل بمن سبقكم ممن عاش المحن، لتعلموا قيمة النعمة، فتحمدوا الله عليها ولتعلموا ثقل الأمانة التي هي على عاتق إخوانكم فتهبوا لنصرتهم، ولتعلموا مدى طول النفس المؤمنة على تحمل طول الطريق فلا تستعجلوا الثمار فتزلوا السبيل، ولكي تتعلموا التجرد الكامل في سبيل تحقيق المصالح الشاملة والباقية.

الجهاد في الجزائر، رغم أنه لم يحقق هدفه على الأرض إلا أنه قد بلغ درجة عالية من النموذجية المتكاملة التى تستحق أن تكون مدرسة جهادية بإمتياز لما شهدته من تجارب شملت جميع نواحي الصراع الفكرية والعسكرية على حد سواء، فلا يجب إذاً بتر الماضي بحجة أنه نوع من الفشل لنكرر العمل وكأننا نستنسخه بدل أن نعتبر منه كامتداد لعمل أفضل.

جميع التجارب الجهادية المعاصرة على اختلاف أزمانها وأماكنها هي جداول تصب جميعها في نهر الجهاد العظيم، ولكل جدول من هذه الجداول نصيبه من الغزارة والتدفق، ولعل الجهاد الجزائري هو أحد أعظم هذه الجداول تدفقا وغزارة لحجمه وعمقه وطول مساره..

قال الله عز وجل: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) [سورة الرعد : 17].

وبعد هذه الإطلالة واللمحة اليسيرة على حياة الرباط، أعود إلى حيث نتحسس خطى شهيدنا سعد -رحمه الله- لنكشف عن بعض سماته وصفاته..

صفاته واخلاقه:

تميّز -رحمه الله - بصبر عجيب وجلد ومثابرة في العمل فلا تكاد تجده بدون عمل، وكانت أخلاقه من أعجب ما رأيت فهو كثير الصمت لا يخوض إذ خاض الخائضون، ولا يتردد في الكلام والنصح إذ أحجم الآخرون، له سعة صدر ورحمة على إخوانه، لا يعرف الغضب والصخب، إذا كان جنديا لا يتوانى في العمل والمبادرة حتى قبل أن يطلب منه، وإذا كان أميرا فهو لا يطلب فعل شيء يقدر على فعله وحده، كان يمتلك عزيمة تفوق كل التصور، شجاعته تبلغ أحيانا حد التهور، لم تعقه مكامن الخطر عن فعل ما يصبو إليه رغم وقوعه في كثير من المواقف الخطيرة التي هي مظنّة الموت، وكان صاحب رأي وتواضع ولا يتردد في مشاورة غيره..

سعد يرحل عن الدنيا:

أعرني سمعك -يا أخا الإسلام- وتمعن كلماتي..

إن سعدا -رحمه الله- كان بوسعه أن يكون كغيره من الشباب، الذين يعيشون حياتهم بعيدا عن كل ما ينغّصها، وهم يحلمون في عيشة ملؤها الفرح والمرح والسرور والترف، أو على الأقل يحيون حياة بعيدة عن الخوف والجوع وهم في كنف أسرهم لا يريبهم سوء أو شر من شرور الدنيا، ولكن سعد وغيره ممن سبقوه على درب الجهاد لم يرضوا لأنفسهم هذه الحياة، وآثروا حياة الجهاد والبلاء، لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين أن طريق العزّ والمجد، وطريق تحكيم شرع الله لن تبلغ بالأماني، فشمروا عن ساعد الجد وطلّقوا الدنيا واستقبلوا العدو يجاهدونه ليردوه عن عاديته..

أي عذر ستقابل به الله -يا من تخلفت عن الجهاد وعن نصرة أهل الجهاد-..

إن قلت كيف أترك أهلي وأبنائي، قيل لك لقد ترك الكثير أهاليهم و أبنائهم.

وإن قلت كيف أترك أموالي وعشيرتي وأحبائي، قيل لك ترك الكثير أموالهم وعشيرتهم وأحبابهم.

وإن قلت كيف لي أن أصبر على كل هذه المحن والبلايا، قيل لك قد تحمّلها الكثير من قبلك.

فإن قلت الموت والمهالك، قيل لك إن الجهاد لا يقتل تعددت الأسباب والموت واحد.

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ••• لو رام أسباب السماء بسلم.

ففي ربيع عام ٢٠١٦، و بعد عشرة أعوام من الجهاد والرباط، ملؤها الصبر واليقين والإيمان رحل فارسنا سعد -رحمه الله- بعد حادثة انفجار أحد الألغام التى كان يعدها للنكاية بالعدو، ولسان حاله، يقول:

سنجاهدكم -يا أعداء الدين- حتى أخر رمق، وستبقى دماؤنا وأشلاؤنا شاهدة على صدق جهادنا ودعوتنا..

لست أنعى سعدا وليس بميت ••• لأنه حي في الدار الباقية

ولكني أنعى أحياءً بحيّنا ••• ركنوا للحياة الفانية

هلموا -يا شباب- نحيي حياتنا بخير ما دعا إليه قول ربنا جل وعلا.

استجيبوا لله والرسول بالجهاد نحيا وتحيا أمتنا.

هكذا هي الحياة، يعيش فيها الناس أصنافا متفاوتين، وبمعايير الحياة الدنيا تخالك تنظر إلى الوضيع فتحسبه شريفا وتنظر إلى الشريف فتحسبه وضيعا، ولكن الله يضع في ميزان الحقيقة معاييراً غير المعايير التى هي في أعيننا، فيُنْبِت غرسا في الظل لا تكاد تحسّ له ركزا، ولكن الله يهيء له أسبابا فيتطاول ويتسامق جذعه حتى يكون كأكبر ما يكون، ولكن -وبالرغم- من هذا الإمداد والبركة الإلهية لهذا الغرس، إلا أن العُميان لا يرون هذا التسامق والشموخ في القدر لأن أعينهم لم تر إلا الجزء الذي يلي الأرض، ولأن أعناقهم ماعهدت إلا الإنكسار والإنحناء.

تموت الأبطال والدم القاني يحلي صدورها، وتموت اللئام على الأبراج زهوا حتف أنفها.

من للحرب من بعد سعد يهزّ لوائها.. وهل من مشمّر من بعد سعد يضرم نارها.

وَفّى سعدُ وما أحب فراقها.. و لكن المولى أحب روح سعد فأراد لقاءها.. نحسبه كذلك والله حسيبه.

في الختام، لا يسعني إلا أن أسأل المولى -عزّوجل- أن يتقبل شهداءنا، وأن يرحم ضعفنا، وتقصيرنا في حقهم وفي حقّ الدعوة إلى دينه، وأسأله -وهو أرحم الراحمين- أن يستعملنا ولا يستبدلنا، وأن يجعلنا من عباده المجاهدين، الذي يذودون عن حياض الدين، وأن يغفر لنا، ويلحقنا بصفوة عباده الموحدين، وأن يختم لنا بالشهادة مقبلين غير مدبرين، أنه هو الجواد الكريم، وصلّ الله وسلم على نبي الأولين والآخرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه الراجي عفو ربه أخو الشهيد

